

التكنولوجيات الحديثة للاعلام والاتصال وعولمة الثقافة

" الثقافة العربية واشكالية الدفاع الثقافي "

أ. كمواش عبد الرحمان

جامعة -أدرار

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على أحد أهم المفاهيم، وأكثرها رواجاً في العالم وفي عصرنا الراهن، وهو العولمة في مجال تطور تكنولوجيات الاعلام والاتصال وتأثيرها على الثقافة المحلية للشعوب أو ما يسمى بعولمة الثقافة، فبناء مجتمع المعلومات يعد اليوم تحدياً عالمياً، ذلك لأنه يخص الدول السائرة في طريق النمو والدول المتطورة، التي تقع على عاتقها مسؤولية التجند بشكل ملائم لتقليص ما يسمى بالهوة الرقمية من خلال مساعدة دول العالم الثالث في مجال تطور التكنولوجيات الجديدة للاعلام والاتصال، لأنها تعتبر بمثابة المحرك الأساسي لتنمية الدول في كل المجالات ومنها طمس الهوية الثقافية في اطار تحسين ظروف المجتمعات للدول التابعة والفقيرة .

Resume :

Dans cette étude nous donnons un aperçu général sur des concepts, leur origine remonte à la fin du 20 siècle. évolution des nouvelles technologie de l'information et de la communication et la société de l'information, notamment la gestion du savoir connu dans le pays occidentaux seulement pour le cas de pays tiers monde il n'existe aucune maitrise de ces outils nécessaires dans cette ère de numération dans toute les domaines et d'autre part l'utilisation de ces technologie de l'information et de communication s'avère d'être d'une inefficacité certaine, en efforts, les facteurs linguistique ,cultures et documentaires et technique affectent considérablement la façon d'expérier ces concepts mon veaux dans toutes les secteurs en respectons les valeurs morales et culturel de la société.

مقدمة

يعيش العالم حاليا وأكثر من أي وقت مضى مرحلة تتسم بالاعتماد الكبير على تكنولوجيا المعلومات، واستخداماتها التي دخلت جميع المنظومات، وتأثيراتها التي بلغت مختلف جوانب الحضارة والحياة إلا دليل على أهميتها المتزايدة، فأصبحت بالتالي محل اهتمام الباحثين، وعلماء الاجتماع، والسياسة والاعلام والاداريون والأنثروبولوجيون، وعلماء المستقبل وجميع العاملين في ميادين الفكر والمعرفة، في وقت ضاعت فيه مرجعيات الرسوم، وتعددت فيه النظريات والتفسيرات، وجاءت الى الوجود أحاديث النهايات والبدائيات.

في عصر العولمة وثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، نجد المسألة الثقافية نفسها قد تغيرت بالصورة التي تغير بها مفهوم الثقافة نفسه، فكما كان التعريف التاريخي للثقافة الذي خلفه عصر النهضة غير كاف في اقناع المنطق الذي جاء به عصر الصناعة وتكنولوجيا الصناعة، بالتالي فان التطورات الحاصلة في زمن العولمة لم تعد تقبل التعاريف التي جاء بها القرن التاسع عشر للثقافة.

فالعالم اليوم يصنع (ويتوحد) عبر الأقمار الصناعية والطرق الاعلامية، والشبكات الالكترونية، والثورات الرمزية، والنصوص العددية التي تجوب الأرض بسرعة الضوء، وهي مؤشرات تدل على حقيقة أن العالم يتشكل بطرق مختلفة وتشكله قوى جديدة في واقع ألغيت فيه أبعاد الزمان والمكان، وهذا المشهد يفضي الى تغيير الثقافة بالذات، فهي اليوم لم تعد كما كانت عليه، سواء من حيث أطرها ومضامينها، أو من حيث وسائطها ومسالكها، أو من حيث آليات تشكلها، والقوى التي تساهم في انتاجها واستهلاكها.

...فيما مضى كان معيار دراسة الشأن الثقافي يتوخى إحدى معادلتين هذا اذا نظرنا الى التشكل بين الثقافات -الثقافة بين العالمية والقومية، والثقافة بين القومية والخصوصية -أما في تركيبة الواقع العالمي الجديد فقد اندلت القواعد وامحت

الحدود، وضاعت الأطر والمرجعيات، وأصبح الانسان في حاجة الى أن يتعلم بوعي كامل، وأحيانا بمفرده كيف يهيكل بنفسه وفاءاته المختلفة في سلم عالمي، وفي حضارة كونية، وليس داخل ثقافة واحدة، مهدت سبيلها ووضعت معالمها أجيال سابقة.

وتحمل عملية التغيير هاته معنى التجاوز والانتقال -الانتقال من حالة قديمة الى حالة جديدة، من منطقة حضارية وثقافية وفكرية الى أخرى- وهو تجاوز حضاري يمكن أن يأخذ مستويين -نظري-فكري-واقعي يتجلى في التغيير الموجود في عالم الأفكار - وعالمي الأشياء والأحداث .

وللتدليل على التغيير الموجود والحاصل في عالم الأفكار - النظري- بالنظر الى نظريات ما بعد الحداثة وخطاباتها التي تفرخ بمفاهيم الاختلاف، والتعدد والتباين بدل التمثيل والتمثل والواحدية، والشمولية، وهي معطيات اذا ما ربطناها بمفهوم الثقافة تتضح معالم، وكيفيات ومناهج الانتقال لمفهوم المفهوم ودلالاته، ومعانيه.

أما على المستوى الواقعي، فالدراسة للمسألة الثقافية ترتبط اليوم وقبل أي وقت مضى بالحدث (ولأنه لا شيء يصبح كما كان بعد الحدث العظيم) فالحدث اليوم هو ما تشهده البشرية من تحولات كبرى على غير صعيد وفي غير مجال خصوصا في مجال الاعلام ومنظومات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حيث تتاح للانسان امكانية صناعة العالم عن طريق العدد، والصورة المقترحة ورأس المال الرمزي.. ولا شك أن هذه التطورات الهائلة تطال الثقافة بقدر ما تغير رؤيتنا الى الفعل الثقافي نفسه، فإذا كان ثمة عالم جديد يتشكل ويصنع بطرق مغايرة، فذلك يعني من جهة أولى أن هناك ثقافة جديدة ومختلفة يجري انتاجها، هي الأكثر فاعلية في صوغ ما يصنعه البشر بأنفسهم وبمحيطهم الكوني، ويعني من

جهة أخرى أن علاقتنا بالعالم، والأشياء تتغير بقدر ما تتغير أنظمة الثقافة ورموزها.

فالمسألة الثقافية برمتها باتت موضعا لاعادة النظر، وذلك لإعادة التفكير في دور الفاعل الثقافي أو لاعادة ترتيب العلاقة بين الفاعل وسائر الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين، أو لمحاولة تشكيل علاقة جديدة بين الثقافات، أو لمحاولة رسم خريطة متوازنة للتفاعلات الثقافية على مستوى الحضارة الكونية (الالكترونية).

ولما كانت التكنولوجيا محركا أساسيا للتغيير الثقافي والحضاري وآلية محددة لمسار الانتقال التاريخي فتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أضافت الى عملية التغيير هاته عامل السرعة في الوقت الذي وثقت العلاقة والصلة بالثقافة.

فالثقافة سواء كانت تواسلا أو ابداعا أم حصادا أو توجهها أم قيما، ومعتقدات وتقاليد، أم صناعة قائمة لها وسائلها وخدماتها وسلعها، وأسواقها بحاجة الى تكنولوجيا المعلومات من حيث كونها وسيلة للتواصل، وأداة للابداع وحفظ التراث، ودعوة لتجديد القيم، ومنظار يرى به الانسان اليوم عالمه من خلال وسائل اعلامها، ولوحات تحكيمها، ونماذج محاكاتها.

والعلاقة الثقافية المعلوماتية تتجلى إذا ما أدركنا بأن الثقافة هي ما يبقى بعد زوال كل شيء والمعلومات هي المورد الانساني الوحيد الذي لا يتناقص، بل ينمو مع زيادة استهلاكه .

وهذه المتغيرات هي التي تؤكد بأن الثقافة في زمن العولمة قد حدث لها تغيير بالشكل الذي أوصل الثقافة (المعرفة) الى مركز الصدارة في عملية التغيير والانتقال، وبالشكل الذي أقرته بتبعية الاقتصاد لها في عالم يعرف الى اليوم واقع المصالح والتناقضات، ويعيش منطق الصراع والتنافس. ومن خلال ما سبق يتبادر لنا السؤال التالي:-

ما هو موقع الثقافة العربية في ظل التطورات التي أحدثتها تكنولوجيا الاعلام والاتصال في زمن العولمة؟.

1-تعريف الثقافة:

يرى مالك بن نبي أن تعريف الثقافة مرتبط بالمرحلة التاريخية الزمنية لمجتمع معين، وبالواقع الاجتماعي لهذه المرحلة، فإن تطور الثقافة مرتبط ضمناً بهذين المتغيرين، فالتعريفات النظرية الماركسية أو الغربية ساعدتها الظروف العامة التي كملت مضمونها بطريقة ضمنية.

و عند مالك بن نبي الثقافة هي " فكرة ذات وجوه متعددة، فهي ليست مجموعة من الأفكار، أو مجموعة من الأفكار والأشياء، ولا يكفي أن تكون انعكاساً للمجتمع"، وينظر إليها على أنها علاقة متبادلة بين السلوك الاجتماعي لدى الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع، وبين أسلوب الحياة وسلوك الفرد في المجتمع، و"السلوك" هو الشيء غير الموجود في التعريف الغربي لأنه عنصر ضمنته الحضارة الغربية، وعنصر منحتة الايديولوجيا الماركسية للتعريف الماركسي.¹

2- مفهوم تكنولوجيا المعلومات:

1-2- تعريف التكنولوجيا:

تعني كلمة تكنولوجيا بمفهومها العلمي أنها " تطبيق العلم بعلم حديثة على الانتاج الدولي ووسائله أي أنه تطبيق كل ما هو مستحدث وجديد في مجال العلوم النظرية لأن العلم يقوم بامدادنا بالمعرفة والفهم الأساسي للحقائق، كما أن التكنولوجيا تعتمد على الاستفادة من هذه المعرفة وتطبيقها في المجالات المختلفة، ويرجع الاهتمام بالتكنولوجيا في العصر الحالي الى العوامل التالية:-

1- أن معدل النمو الاقتصادي يعتمد على معدل التطور التكنولوجي.

¹ - مالك بن نبي - مشكلة الثقافة - ترجمة عبد الصبور شاهين - ط4- دار الفكر- القاهرة- 1984- صص 41-42.

- 2- الاهتمام المتزايد بتطوير مختلف الأجهزة والمعدات، واعطاء مساندة كبيرة للأبحاث في هذه المجالات.
- 3- التقدم في الآلية "Automatisation" أدى الى شيوع البطالة ومن ثم يجب البحث عن أعمال جديدة، وتدريب العاملين الجدد على الآلات الحديثة.¹

2-2- مفهوم تكنولوجيا المعلومات:

ينظر الى تكنولوجيا المعلومات على أنها التقنيات والعمليات والنظريات ذات العلاقة بجمع المعلومات وتخزينها واسترجاعها وبنها، ولهذا فهي تضم التقنيات الدائرة حول الاتصالات السلكية واللاسلكية وحقول المعرفة الناشئة عنها كالذكاء الاصطناعي والتخصصات القائمة كعلم المعلومات والمكتبات.

وهي ليست أداة استهلاكية أو وسيلة تسلية، وانما هي الوسيلة الوحيدة للبقاء في مجتمع القرن الواحد والعشرين، وهي تتكون من العرض والتجهيزات مثل أجهزة الكمبيوتر، ومكوناتها و أجهزة الاتصالات وصناعة الالكترونيات أما الجانب الثاني فهو الطلب على تطبيقات المعلومات في قطاع الاقتصاد وصناعة خدمات المعلومات، والمطبوعات الالكترونية أو النشر الالكتروني وفي البث الاذاعي والتلفزيوني وادارة أنظمة المعلومات.²

وقد أحدث تطبيق تكنولوجيا المعلومات ثورة في القيم والاتجاهات وأنماط الحياة، وبخاصة الجوانب السوسيوثقافية والاقتصادية .

وقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات منظومة قائمة على عناصر داخلية ولها تأثيرها على العناصر المكونة للمنظومة الاجتماعية المتمثلة في الثقافة والسياسة، ولها علاقة مع التكنولوجيات الأخرى كالتكنولوجيا الزراعية والصناعية، وتكنولوجيا

¹ - محمد محمد الهادي وآخرون- نحو مستقبل أفضل لتكنولوجيا المعلومات في مصر- المكتبة الأكاديمية-مصر- 1995 صص 48-49.

² - أحمد محمد الصالح- الانترنت والمعلومات بين الأغنياء والفقراء- دار الأمين للنشر والتوزيع- 2001 صص 25.

الطب والتعليم والاعلام وغيرها، وتتعامل مع فئات اجتماعية مختلفة منها الاعلاميون ومستخدمو نظم المعلومات والتربويون وغيرهم. وسنوضح في هذا المقام العناصر الداخلية المكونة لتكنولوجيا المعلومات التي اندمجت في شبكة الأنترنت وهي عنصر العتاد والبرمجيات والاتصالات.

أ. عنصر العتاد:

وينقسم الى فرعين أساسيين : الكمبيوتر وملحقاته ويمكن تلخيص توجهات تطور شق العتاد في القائمة التالية:

- **التوجه الأول:** نحو الأصغر والأسرع والأرخص والأسهل استخداما.
- **التوجه الثاني:** من المركزية والتلاحق الى اللامركزية والتوازي ويقصد بها مركزية الذاكرة (ذاكرة وحيدة) ومركزية المعالجة الحسابية والمنطقية (وحدة معالجة وحيدة).
- **التوجه الثالث:** حدة التنافس بين الكمبيوتر الشخصي والكمبيوتر الشبكي، حيث تدور المعركة حاليا بين فريقين : أحدهما يتبنى فكرة أن يكون الحاسب الشخصي PC هو أداة المستخدم للنفاذ الى شبكة الانترنت ويتزعم هذا الفريق شركة (مايكرو سوفت) وفريق آخر تتزعمه شركة (صن ميكرو سيستم) .
- تتبنى فكرة الكمبيوتر الشبكي "Computer-NC : network" يتسم بالبساطة بلا وحدات تخزين أو نظم تشغيل معقدة، كمبيوتر يتعامل مع الأنترنت مباشرة باعتبارها مستودع معلوماته.
- **التوجه الرابع:** نحو ملحقات طرفية أكثر تنوعا وكفاءة تتجاوز ثنائية لوحة المفاتيح والفأرة، ملحقات تتعامل مع النصوص والرسوم والصور والموسيقى، والكلام وشاشات عرض ثرية الألوان لتلبية مطالب فنون التشكيل وكذا ملحقات التعامل مع نظم الواقع الحالي.

ب. عنصر البرمجيات:

مصطلح الشق الذهني "Software" ويعني كل ما هو ذهني أي ليس ماديا، فهو يشمل بالاضافة الى برامج الكمبيوتر، الدراسات والمخططات والتصميمات وما شابه، ويشمل كذلك محتوى الموسيقى والأفلام والنصوص والتسجيلات المسموعة، والمرئية.

وتنقسم البرمجيات الى ثلاثة فروع رئيسية:-

- **برمجيات التحكم في تشغيل الكمبيوتر وشبكات الاتصال:** وهي تناظر آلات التشغيل ووسائل الانتاج في الصناعات التقليدية وتشمل أساسا نظم التشغيل ومثالها الشهير نظام "Windows" ونظم التحكم في شبكات نقل البيانات.
- **أدوات البرمجة:** وتشمل لغات البرمجة وأدوات زيادة انتاجية من نظم تنسيق الكلمات وقواعد البيانات وبرمجيات العرض وأدوات تصميم الرسوم وتحرير الموسيقى وخلافه.
- **البرامج التطبيقية:** وتغطي من منظور الثقافة مجالات أساسية عدة هي الوسائط المتعددة، والنشر الالكتروني ونظم خدمات المعلومات ومعالجة اللغة آليا.

ج. عنصر الاتصالات:

لقد ارتقى هذا العنصر من كونه عنصرا مكملا الى دور الشريك الكامل، وقد حولته شبكة الانترنت وطريق معلوماتها الفائقة السرعة من مجرد وسيلة للاتصال الى وسيلة لنقل منتجات صناعة الثقافة وأهم توجهات هذا العصر.

1- رقمنة في كل اتجاه (شبكات رقمية، معدات اتصال رقمية...) وهواتف رقمية وهو ما أدى الى توسيع نطاق الخدمات الهاتفية وتنوعها.

2- الانتقال من كابلات النحاس الى الألياف الضوئية.

3- انتشار المعدات النقالة من هواتف محمولة وحواسيب جيب، وكتب، ومذكرات الكترونية.

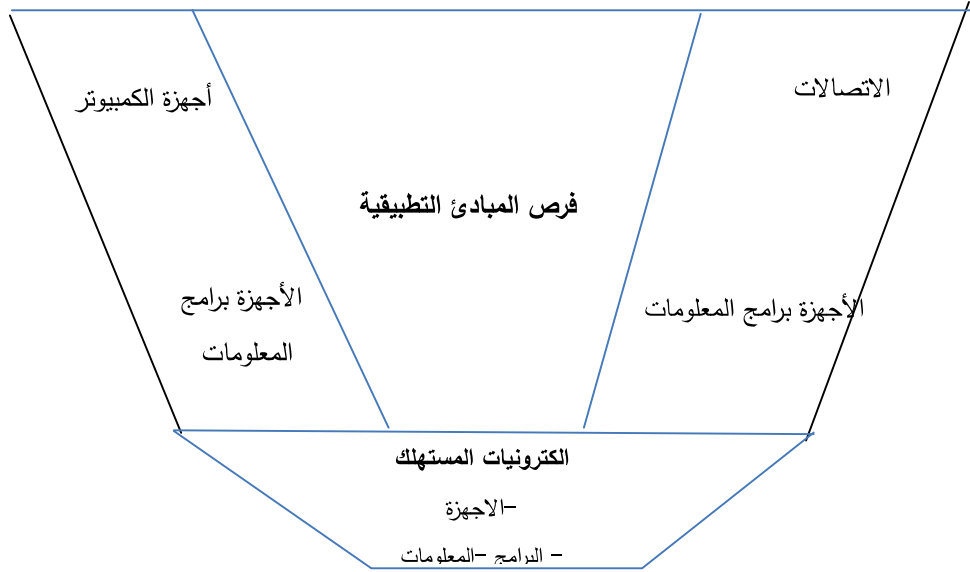
4- ادماج خدمات الهواتف مع خدمات الفاكس، والبريد الالكتروني، والبحث عن المعلومات والابحار في الأنترنت.

5- خصخصة مؤسسات الاتصالات الوطنية، وهي الظاهرة التي انتقلت من أمريكا الى اليابان ومعظم دول أوربا، وقد صاحب عملية الخصخصة اطلاق المنافسة بين مؤسسات الاتصالات وشركات تلفزيون الكابل، وشركات الكمبيوتر لتقديم قائمة الخدمات الهاتفية والمعلوماتية والاعلامية نفسها بعد أن تداخلت هذه الخدمات بفضل الرقمنة أساسا.¹

وفي الوقت الذي دخلنا في العام 2000 توسع مفهوم تكنولوجيا المعلومات ليشمل ليس فقط الحاسوب والاتصالات بل أيضا هناك مكون آخر هو الكترونيات المستهلك، وهو عبارة عن أجهزة الكترونية تستخدم لتلبية رغبات وطلبات الناس والتي تشمل التلفزيون ومسجلات الديسك الليزرية وأجهزة الستيريو... والصوت...، فبالإضافة الى شركات الحاسوب والاتصالات المختلفة مثل: IBM.Appel.Dijitel وغيرها يمكن اضافة شركات أخرى تنتج الالكترونيات مثل: Sunny-Kaak وغيرها وتغير الوسائط المتعددة Multimedia. وجه تكنولوجيا المعلومات مما أدى الى فسح الطريق أمام الكترونيات المستهلك للاستخدام، حيث أصبح الناس يتوقعون مشاهدة الصور والصوت جنبا الى جنب مع المعلومات والنص.²

¹ - نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة - ط2-ديسمبر 2001- الكويت -ص84.

² - علاء عبد الرزاق السالمي- تكنولوجيا المعلومات- دار المناهج للنشر والتوزيع-الأردن- ط2-2000.



شكل رقم (01) يوضح مكونات تكنولوجيا المعلومات

وقد انتشرت تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في شتى المجالات على جميع المستويات والحديث على تطبيقاتها يدفعنا الى الحديث عن الدوافع التي كانت وراء هذا الانتشار الهائل لتطبيقات هذه التكنولوجيات والتي نحددها أي الدوافع فيما يلي:

1. زيادة الانتاجية : ويقصد بها تنمية انتاجية الموارد البشرية والمادية

والطبيعية كما وكيفا ومن أمثلتها:-

-زيادة انتاجية عمال المصانع.

- زيادة انتاجية عمال المكاتب.

- زيادة انتاجية نظم التعليم.

- زيادة انتاجية الموارد الطبيعية كالأراضي الزراعية وموارد المياه والثروة الحيوانية

لقد أثبتت تكنولوجيا المعلومات قدرة فائقة على التقليل من تكلفة الانتاج والخدمات من خلال تقليل العمالة، وتوفير الموارد الخاصة الوسيطة وتقليل استغلال الطاقة، ومع تزايد الشق الذهني والمكتبي في مؤسسات الانتاج والخدمات أصبحت انتاجية عمالة " الياقات البيضاء " عاملا أساسيا يتوقف عليه أداء المؤسسة ككل .

وظهرت نظم أتمته وذلك بهدف زيادة فعالية التواصل بين موظفي المكاتب وبين مراكز الادارة والفروع وكذلك سرعة انتاج الوثائق وتبادلها وتسهيل عمليات حفظ السجلات واسترجاعها.

ولا يقتصر دور التكنولوجيا المعلومات على زيادة انتاجية الموارد البشرية والمادية بل امتدت أيضا لتشمل انتاجية الموارد الطبيعية بترشيد استغلال الموارد الصناعية والزراعية والاسهام في تطبيق أساليب الهندسة الوراثية وأساليب بحوث العمليات لزيادة انتاج البيض واللحوم.

2. تحسين الخدمات:

لعبت تكنولوجيا المعلومات دورا حاسما في تحسين الخدمات القائمة واستحداث خدمات جديدة لم تكن متوفرة من قبل ذلك في مجالات عديدة من أبرزها خدمات المصارف والمواصلات والاتصالات والصحة ولم يكن الدافع وراء ذلك زيادة رفاهية طالب الخدمات وتسهيل عمل مقدمها بقدر ما هو قصور الوسائل التقليدية في الوفاء بالمطالب المتزايدة كنتيجة لتسارع ايقاع الحياة وتشابك علاقتها.

3. السيطرة على التعقّد:

لا يوجد سلاح أفضل من تكنولوجيا المعلومات تشهره البشرية في وجه ظاهرة التعقّد الذي بات يعتري جميع مظاهر الحياة الحديثة، ويتجلى هذا التعقّد في صور على جميع المستويات، ومن أمثلة ذلك أداء النظم الاقتصادية التي تتعامل مع الجديد من المعدات والقيود والمتغيرات الديناميكية والمشاكل البيئية كالمتغيرات

المناخية التي تحتاج الى التعامل مع كم هائل من المعلومات السريعة التغير، وأمام هذه الظواهر المعقدة على المخطط والمحلل والمقيم والمصمم أن ينبعث على الأمثل والأصلح والأصدق في ظل العديد من القيود والمحددات، المحكاة ووسائل تحليل النظم والبيانات وغيرها.

4. دراسة ما ليس متاحا:

هناك كثير من الظواهر والمشاكل التي يتعذر دراستها على أساس المناخ من شواهد الواقع، فكيف يتسنى لنا بناء على ما هو مناخ دراسة نشأة المجرات وبداية الكون، والمتغيرات الجيولوجية التي تحدث عبر ملايين السنين ؟ وكيف لنا أن نتعرف على الأفكار الممكنة للكوارث الطبيعية؟ أو الظروف والأسباب التي يمكن أن تؤدي إليها؟¹

لقد تطلبت ظروف حياتنا المعاصرة دراسة كثير من الظواهر والمواقف التي تحتاج الى تكنولوجيا المعلومات التي تمتلك القدرة على تفسير الأحداث عبر الزمان والمكان.²

4- مفهوم العولمة:

العولمة ترجمة لكلمة (Mondialisation) الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب الى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا، الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية، وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك، تنقل البضائع والسلع اضافة الى حماية ما بداخلها من أي خطر، أو تدخل خارجي سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو السياسة أو الثقافة.

أما اللامحدود فالمقصود به "العالم" أي الكرة الأرضية، فالعولمة اذن تتضمن معنى الغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي .

¹ - نبيل علي- العرب وعصر المعلومات- عالم المعرفة - الكويت -1994- ص 182.

² - نبيل علي- العرب وعصر المعلومات- نفس المرجع السابق - ص ص 182-188.

على أن الكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة لكلمة (Globalisation) الانجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. فالدعوة الى العولمة اذا صدرت من بلد أو جماعة فانها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد، أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع: العالم كله.¹

ان العولمة أمر يختلف عن التغريب البسيط والمحض، فالعولمة كناية عن ولادة كرة أرضية واحدة هي من الآن وصاعدا ملك الناس أجمعين، أي لكرة أرضية لا مركز لها.²

العولمة هي حال من التفاعل الاقتصادي المتنامي لدول العالم الناتج عن تزايد حجم التبادل في ما بينها على مختلف المستويات، بما يكسر الحدود ويجعل تعاملها متنوعا، ولا يتم ذلك الا في الانتشار الواسع والمتنوع للتقنيات الاعلامية.

ان ظاهرة العولمة هي اذا بداية عولمة الانتاج والرأسمال الانتاجي وقوى الانتاج الرأسمالية .. ونشرها في كل مكان مناسب خارج مجتمعات المركز الأصلي "الولايات م.أ" ودوله. العولمة بهذا المعنى هي "رسمة العالم على مستوى العمق... انها حقبة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"³

ولا يمكن فهم العولمة وتحديدها بتدويل الاقتصادات الوطنية الكبرى وتجديد الرأسمالية وتقدم النظرة الليبرالية في الاقتصاد والسياسة، الا بفهم ثورة العلم

¹ محمد عابد الجابري- قضايا في الفكر المعاصر - ط2- مركز دراسات الوحدة العربية-لبنان- 2003-ص (136-137)

² جبرار ليكلرك - العولمة الثقافية - ترجمة جورج كتورة- دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت-2004-ص332.

³ نسيم الخوري- الاعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية - مركز دراسات الوحدة العربية- لبنان-2001-ص393

والمعرفة وانفجار "تكنولوجيا" الاعلام والاتصال الذي يدفع الى "عملية التدويل القسرية" ويمنح هذه العولمة تجلياتها الملموسة ...".

العولمة ظاهرة تتسج مزيجا غير محدد من العلاقات بين مستويات متعددة في التحليل والاقتصاد والثقافة والايديولوجيا، وإذا كانت البشرية قد تعلمت قبلا وفق أنساق من القيم والأفكار الكبرى، فإن العولمة المعاصرة قد وسعت حدودها، وانخرطت في مجالات العلوم الاجتماعية، واعتبرت عملية مستمرة يمكن ملامستها والتعرف الى مؤشراتنا بشكل نوعي وآني في مجالات الاعلام والاتصال كما في مجالات السياسة والاقتصاد.¹

والعولمة هي نظام عالمي جديد يعيد تشكيل الدول والمجتمعات، والأفراد والصناعات على جميع المستويات، هذا النظام الذي برز على إثر سقوط الاتحاد السوفياتي وانحسار النظام الشيوعي، وتراجع الفكر الاشتراكي وانتهاء انقسام العالم الى شرق وغرب.²

5- عولمة الثقافة :

عندما تلحق الثقافة بالعولمة، يتبادر الى الذهن كلمات جديدة أصبحت تتردد كثيرا في المؤتمرات والندوات العلمية، مثل الأمركة أي تعميم النموذج الأمريكي للحياة و السلعة أي تعميم قيم السوق على الفعاليات الثقافية، أو ما يربط بين أعضاء مجتمع واحد ويجعل منهم جماعة متفاعلة ومتواصلة.

فهل يؤدي الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادية والثقافية والاعلامية الى السيطرة الأحادية للولايات المتحدة الأمريكية، أم يقود بالعكس الى تطوير وتعميق التعددية الثقافية؟

¹ نسيم الخوري- نفس المرجع السابق- ص393

² عبد الخالق عبد الله- عولمة السياسة والعولمة السياسية -مجلة المستقبل العربي-العدد 278-أفريل 2002- ص26.

ليس التفكير في العلاقات بين الثقافات موضوعا جديدا على النقاش العلمي والايديولوجي العالمي، فقد صاغت الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع الثقافي، مفاهيم عديدة وقوية لفهم الآليات التي تحكم صراع الثقافات أو تفاعلها.

ومن هذه المفاهيم مفهوم التناقص، ومفهوم الاستيلاء، وعلى هامش هذين المفهومين العلميين تكاثرت الابحاث التي تتحدث عن الهيمنة الثقافية، والغزو الثقافي، فهل تدخل الآثار التي ستتركها العولمة على الثقافات البشرية في اطار هذه المفاهيم المتداولة، أم أمها تحتاج الى تطوير مفاهيم جديدة أكثر ملاءمة للأوضاع الناشئة عن دمج العالم اعلاميا و اتصاليا، وأكثر فاعلية في فهم مستقبل العلاقات بين هذه الثقافات.

العولمة ليست نظاما عالميا للحياة، نشأ نتيجة تفاعل طبيعي للثقافات العالمية، ولكنه نظام جديد من العلاقات بين الثقافات، كما هو الحال بين الجماعات والدول والأسواق، نشأ في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية، انه يعكس هذه الهيمنة في بنيته العميقة، ويكرس الموقع المتميز للولايات المتحدة الامريكية، بقدر ما يعكس المشاركة الرئيسية للرأسمالية الأمريكية في ثورة المعلومات، وتلعب هذه الهيمنة بما يلحقها من تطورات تقنية، وتبدلات جيو استراتيجية تعمل على تقريب المسافات وتوحيد أنماط الحياة المادية والفكرية وتلعب دورا أساسيا في دمج الدوائر الثقافية المختلفة وانشاء فضاء ثقافي مشترك أو قائم فوق الثقافات القومية، يسمح لمنتجات الثقافة الأمريكية أن تروج وتتنافس منتجات الثقافات الأخرى الى حد كبير.

العولمة تعني اذن بالضرورة : الأمركة اذا فهمنا من الأمركة أرجحية المساهمة الأمريكية في الانتاج الثقافي، المادي والمعنوي الذي يملأ الفضاء العالمي الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات، لكن لا اذا فهمنا من الأمركة تحويل ثقافات الشعوب والطبقات الى ثقافة أمريكية، أو تعميم القيم الأمريكية على جميع شعوب العالم.

والذين يتحدثون عن الأمركة يقصدون في الواقع ما يمكن أن يؤدي اليه الانتشار الواسع لمنتجات الثقافة الأمريكية، وليس بالضرورة للثقافة من آثار مخرية على الهوية القومية أو المحلية الخاصة بالجماعات البشرية المختلفة.

ليست العولمة هي المنشئة لسيطرة ثقافة على ثقافة أخرى، ولكنها منشئة لنمط جديد من السيطرة الثقافية، وليس للثقافات الأخرى أي مستقبل بالفعل إلا إذا أدرك أصحابها طبيعة هذا النمط الجديد من السيطرة الثقافية وآلياته، وبلوروا الاستراتيجيات المناسبة التي تسمح لثقافتكم أن تبقى على مستوى المشاركة العالمية الإبداعية والا تتحول إلى مجرد ثقافات هوية.

تتبع أهمية مفهوم الهوية الثقافية من واقع أنه لا يمكن أن توجد جماعة مستقلة، أي ذات ارادة ووعي مستقلين، ينجم عنهما ممارسة تاريخية مستقلة أيضا، أو مشروع جماعي من دون موارد ثقافية متميزة فاذا فقدت الجماعة تميزها الثقافي، أي مواردها الثقافية الخاصة التي لا يشاركها فيها غيرها، فقدت هويتها كجماعة مستقلة واندمجت في غيرها من خلال تمثل ثقافة أخرى، أو بالخضوع العملي لها مع الاحتفاظ بملامح ثقافية لا تتفاعل مع البيئة، ولكنها تعكس انتماءات تاريخية.¹

6- اشكالية الدفاع عن الثقافة العربية في عصر العولمة:

أ- الثقافة العربية و تكنولوجيا الاعلام والمعلومات

إذا كانت التكنولوجيا على مدى التاريخ محركا أساسيا للتغير الثقافي والحضاري وافرزا له في الوقت نفسه، فإن تكنولوجيا المعلومات هي التي جعلت من الثقافة صناعة قائمة بذاتها لها مرافقها، وسلعها وخدماتها، وأضافت إلى قاموس الثقافة مفاهيم جديدة مثل : الرأس مالية الفكرية - فنون الوسائط المتعددة - صناعة الأخلاق - أمية الكمبيوتر - الطبقة المعلوماتية . وتكنولوجيا المعلومات لم تستحدث مفاهيم جديدة على مفاهيم ثقافية سابقة في مجالات الادب والنقد

¹ - برهان غليون وسمير أمين- ثقافة العولمة وعولمة الثقافة - ط2- در الفكر - سوريا-2002- ص ص44-48.

والتذوق الأدبي، وكذلك فيما يخص دور الأديب و الناقد الأدبي والناقد والقارئ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ومن المنطقي أن تزداد علاقة الثقافة بالتكنولوجيا وثوقا كلما اقتربت هذه التكنولوجيا من المناطق الغائرة في الكيان الانساني، لذا فلا وجه للمقارنة بين علاقة الثقافة بتكنولوجيا آلة البخار التي حلت مقام عضلات الانسان، بتكنولوجيا آلة المعلومات (الكمبيوتر) التي تسعى لمحاكاة ذهنه وحواسه .

فالثقافة سواء كانت تواصل أو ابداعا، أو حصادا أو توجهها أو قيما أو تقاليد ومعتقدات، سواء كانت أيا من هذا، فالثقافة أصبحت ذات صلة وثيقة بتكنولوجيا المعلومات بصتها وسيلة للتواصل وأداة للابداع وحفظ التراث، ودعوة لتجديد القيم، ومنظارا يرى به انسان اليوم عالمه من خلال وسائل اعلامها ولوحات تحكمها، ونماذج محاكاتها.¹

وأيا كان فالعالم يتشكل اليوم بطريقة مختلفة، وبقوى جديدة، الأمر الذي يعني أن الثقافة أخذت تتغير سواء من حيث أطرها ومضامينها، أو من حيث وسائطها ومسالكها، أو من حيث آليات تشكلها، والقوى التي تسهم في انتاجها واستهلاكها، والمهم في ذلك أن الوسائط تؤدي الى عولمة المعرفة، اذ هي تتيح للمرء الاطلاع على كل معارف العالم عبر الشبكات الالكترونية التي بدأت تحل مكان المكتبات العامة.

ب-الواقع المعلوماتي في المجتمعات العربية:

ان القضية التي تواجه العالم اليوم تتصل بمدى التعامل مع ظاهرة المعلوماتية المعاصرة والتجاوب معها، والنهوض بتبعات ذلك التعامل لايقاظ المجتمع ككل، لكي يتجاوب مع هذه التقنية المتطورة، وتحويلها الى عناصر يمكن استثمارها في التطور والتقدم.

¹ - نبيل علي- البرمجيات : البعد الاقتصادي- مجلة العربي- العدد542- جانفي 2004- الكويت-ص 142.

وهناك تأثير متبادل وعكسي بين كل من المعلوماتية والبحث وباقي أنشطة المجتمع المعاصر، فعلى سبيل المثال تعتبر المعلوماتية ضرورة أساسية للبحث العلمي، بدونها يتأثر البحث بالسلبية والجمود وعدم التأثير فالمضمون الأساسي للبحث العلمي هو المعلومة، وما يتصل بها من أساليب وتقنيات، تسهم في تجميعها وتحليلها وتخزينها ونقلها واستخدامها.

وعلى الصعيد العربي والإسلامي عملت بعض المشاريع الهادفة نحو التحكم في المعلوماتية وتوصيلها إلى الباحث العربي والإسلامي لخدمته، وقد كان لجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبمساندة علمية وفنية ومالية من منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية " UNDP " الريادة في الدعوة إلى إنشاء شبكة المعلومات العربية بين الدول العربية، ولكن هذا المشروع لم يكتمل حتى الآن.

كما أن المنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية التابعة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، ومقرها الرئيسي مدينة جدة بالسعودية، تبنت أحد المشاريع في إنشاء شبكة لنظام معلومات علمي وتقني بين البلاد الإسلامية، ولكنها لقيت صعابا مالية من حيث التمويل، كما أن مشروع القمر الصناعي العربي الذي أطلق حديثا مازال قاصرا ويلقي صعابا جمة في الاستفادة منه.

وفي مجال البحث وبمعاونة وكالة المعونة الأمريكية للتنمية " USAID " أنشئت شبكة للمعلومات العلمية والتكنولوجية ESTINET للحصول على المعلومات من قواعد البيانات وشبكاتها في الولايات المتحدة أ بالقطاعات التي تضمها هذه الشبكة، وهي قطاع الزراعة وقطاع الصحة من خلال مركز التعليم الطبي ومستشفى جامعة عين شمس التخصصي وقطاع الصناعة من خلال مركز تنمية التصميمات الهندسية والصناعية، وقطاع الطاقة من خلال جهاز تخطيط الطاقة، وقطاع التعمير من خلال مركز البحوث والدراسات بوزارة الإسكان، وقطاع

العلم والتكنولوجيا من خلال المركز القومي للإعلام والتوثيق وقطاع البحوث الاجتماعية والجنائية من خلال المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إلا أن البحث شبكة البحوث بالاسكندرية وجامعة قناة السويس وتوصيل المعلومات لا يزال يتم بطريقة بطيئة بسبب عدم بناء قواعد المعلومات المحلية كما أن مدى ارتباط هذه الشبكة بما هو متوفر بالفعل في البيئة المصرية يعتبر منفصلا الى حد كبير.¹

ومن المشكلات التي تحد من تطور ونمو الشبكة العربية للمعلومات نذكر على سبيل المثال:

- قصور السياسة الوطنية والعربية للمعلومات.
 - الفجوة بين التخطيط والتطبيق.
 - ضعف الصناعة العربية للمعلومات والاتصالات .
 - تناقص الدعم المالي لمشروعات البنية الأساسية للمعلوماتية العربية.²
- هذه الحقيقة تدعو الدول النامية ومن بينها الدول العربية أن تراجع أولويتها المتعلقة بمجال المعلوماتية وتطويرها لخدمة جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وربما يمكن استعراض مظاهر التخلف المعلوماتي في المجتمع العربي ليس من قبل اضطهاد الذات ولكن تحفيزا لروح التحدي ونلخصها فيما يلي:-
- غياب الروح العلمية والذي ينعكس في مظاهر اجتماعية كانهدام الثقة في البحث العلمي وجدوى الحلول العلمية وعدم تقدير العلميين وانقطاع معظم المتعلمين عن تحصيل العلم.

¹ - محمد محمد الهادي - مرجع سبق ذكره - ص 32.

² - أحمد بدر وآخرون- السياسة المعلوماتية واستراتيجية التنمية - دار غريب للنشر والتوزيع - القاهرة- 2001- ص ص 185-190.

- قصور خدمات المعلومات وضمور الطلب على المتاح منها من قبل الطلاب والباحثين وعدم استغلال المعلومات المتوفرة في عملية اتخاذ القرارات التي يسودها الحدس والعفوية.
- تضخم البيروقراطية وبرودة تجاوبها مع المشاكل الاجتماعية، وتقديس الاجراءات على حساب الأهداف.
- استخدام الواجهات العلمية والثقافة لاضفاء المشروعية على الممارسات والهياكل الاجتماعية وتفشي ظاهرة النفاق الاجتماعي.
- عدم وجود صناعة عربية للبرمجيات، وعدم الاهتمام بالتشريعات الخاصة بحماية الملكية الفكرية.
- ضعف البنى الأساسية لنظم المعلومات المتمثل في غياب السياسات الوطنية، وضعف التكامل العربي.
- ضعف النشر عموما والنشر العلمي خصوصا، وبطئ حركة الترجمة وانخفاض معدلات اصدار الكتب والمجلات العلمية والمهنية.
- الاعتماد على الخبرة الأجنبية في كثير من مشاريع نظم المعلومات العربية سواء في التصميم أو التصوير أو التشغيل.¹

ج- مسألة (منطق) الدفاع عن الثقافة العربية في عصر العولمة

يفترض التعامل الناجح والمتوازن مع العولمة والتحديات التي تطلقها تبديلا أساسيا في توجهاتنا ومواقفنا النفسية التقليدية، وفي مقدمة ذلك التخلي عن المواقف الدفاعية التقليدية لصالح مواقف تقوم على الثقة بالنفس والمستقبل، وتبني مبادرات ايجابية وبناءة، تهدف تعديل النظام العام الذي نعيش فيه وتطوير التعاون الجماعي الذي يمكننا من تحقيق هذا التعديل، وهذا يستدعي أن نعترف بقصور أنظمتنا الاجتماعية والثقافية، والانطلاق من هذا القصور نفسه من أجل

¹ - نبيل علي- العرب وعصر المعلومات- مرجع سبق ذكره- ص ص 277-279.

احتلال مواقع العالمية، واختراق الهامشية وكسر آليات التبعية نحو المشاركة الفعلية والفعالة في الجهود الحضارية الانسانية .

ان هدفنا العملي والواقعي ينبغي أن يكون الخروج من الهامشية نحو الفعل والمشاركة مع بقية الثقافات الانسانية الحية، والعاملة من أجل العمل على تفويض أسس السيطرة الثقافية الأحادية وتعزيز اطار التعددية الثقافية الكونية في اطار الاحترام والتعاون والتفاعل .

ان موقف رفض السيطرة الثقافية، والكشف عن آليات التبعية، وتشديد الصراع ضدها هو المنبع الرئيسي لارادة الاستقلال والمشاركة الحضارية الفعالة، ومن دونه لن يكون في مقدورنا بناء أي ذاتية فاعلة، أي مشروع خاص يقتضي الوعي والارادة والموارد الثقافية الخاصة للمشاركة في الحضارة.

لكن وضع هذا الصراع في اطار الاعتراف بقصور ثقافتنا وتنظيماتنا هو الذي يدفعنا الى توجيه القسم الأكبر من نشاطنا ضد الهيمنة الثقافية نحو بلورة حلول مبدعة وجديدة لمشاكلنا الثقافية أي لاعادة بناء الذات، لا الدفاع عنها والتغزل بمزاياها والاعتزاز بماضيها والتشهير بخصومها.

اذا استبد بنا هوس الدفاع والممانعة والمصارعة نسينا أنفسنا، وبقينا كما نحن سعداء بجهلنا وتخلفنا، واذا دوخنا سحر الثقافة المسيطرة ذبنا في غيرنا وفقدنا هويتنا، ولا يمكن أن نربح الصراع ضد السيطرة الخارجية الا بقدر ما ننجح في أن نمح هذه السيطرة من أن تكون هاجسنا، أي أن تسيطر علينا كلياً، فهذه المسافة النفسية التي ينبغي أن تضعها بيننا وبين السيطرة الخارجية هي التي تمكننا من ادراك نسبية الصراع وتحقيق الحد الأدنى من الاستقلال عن الذات وهن الآخر معا.

كما أن الدفاع عن هويتنا لا يتحقق من خلال الحفاظ عليها كما هي، أي عن هوية الماضي ولكن من خلال اعادة بناءها من أفق المستقبل، وفي اطار العولمة

أو الثورة العلمية والتقنية، أي بناء العالمية فيها، فإن ربح الصراع مع الآخر والرد الايجابي على الهامشية والاستبعاد من العالمية يحتم الانتقال من موضوع السيطرة الخارجية من استراتيجية التصدي والمقاومة والاحتجاج الى استراتيجية العمل مع القوى الأخرى في النظام العالمي على تفكيك بنية السيطرة العالمية، وإعادة بناء العالمية من أفق التعددية الثقافية.¹

ان اقامة عولمة بديلة تفترض في المجال الثقافي انتاج ثقافة عالمية بديلة يطلق عليها اسم (عولمة الثقافة) بحيث الخصوصية ستجد مكانا جديدا في هذه المنظومة الكلية، علما بأن الخصوصية الموجهة نحو المستقبل المقصودة هنا تختلف من حيث الجوهر عن الخصوصية الموروثة من الماضي.

ان المقولة بأن التباين الثقافي ليس فقط واقعا حقيقيا، الأمر الذي لا ينكره أحد بل أنه يمثل ظاهرة جوهرية، بمعنى أن هذه الخصوصيات ثابتة ودائمة، تلغي في نهاية المطاف القاسم المشترك الذي يعبر الخصوصية الثقافية والذي يتيح الحديث عن تاريخ البشرية بشكل عام.

وفي هذا الاطار أزعّم أن النظريات التي تركز فكرة ثباتية الخصوصية الثقافية هي خادعة بقدر ما تنطلق من الفكرة المسبقة المذكورة، أي أنها تنظر الى التباين على أنه يمثل القاعدة بينما تعتبر تجليات التشابه ناتج مجرد الصدفة، ثم على هذا الأساس تطرح نظريات الثباتية برنامج أبحاثها، ولكن اذا أخذنا بالمبدأ المعكوس (أي الفرضية) .

ان الميل الى التشابه هو القاعدة في تاريخ البشرية وأن الاختلافات في مسيرة التطور جزئية ونسبية ثم ان الخصوصيات المزعومة التي تقدمها هذه النظريات، لا تعدو أن تكون قائمة بديهيات سطحية لا غير فمقولة "صراع الحضارات" لهنتغتن hington مثلا " ان للتباين الثقافي طابعا جوهريا لأنه يمس العلاقات بين

¹ - برهان غليون وسمير أمين- مرجع سبق ذكره-ص ص 56-58.

البشر والاله والطبيعة والسلطة" لا يفتح مثل هذا الاكتشاف عدا أبوابا مفتوحة، اذ يجعل المعضلة الثقافية ترادف العقيدة الدينية.

ان التحليل التاريخي العلمي يؤدي بالضرورة الى اعتبار ما يسود حاليا وعالميا انما هو " حضارة وثقافة رأسمالية الطابع بالأساس " وليست الغرب كما أن هذه السيادة هي المسؤولة عن التحولات التي حدثت في جميع أقاليم العالم، والتي أفرغت من مضمونها الأصلي جميع الثقافات الخارجية السابقة، بما فيها ثقافة الغرب، وعلى هذا الأساس سوف نكتشف معيار التبويب الصحيح الذي يتصف به عالمنا، فهناك مناطق حيث حلت الثقافة الرأسمالية محل الثقافات السابقة تماما، وهي المناطق المكونة للمركز الرأسمالي أي أوربا وأمريكا الشمالية (المسيحية في أصولها) واليابان الكونفوشيوسي أصلا هذا بينما لم يلغ انتشار الرأسمالية تماما أثر الثقافات القديمة في مناطق الأطراف، ولم تفلح الرأسمالية في توظيف الثقافات السابقة توظيفا شاملا وفاعلا، كما صار الوضع عليه في المراكز.¹

هل يرجع هذا الاختلاف الى (خصوصيات ثقافية) أي الى قدرة الثقافات (غير الغربية) على الصمود ؟ أم يرجع الى أشكال التوسع الرأسمالي الذي أنتج تفرقة أساسية جديدة، وتضادا بين مراكز وأطراف المنظومة (النظرة الثانية).

لقد أدى التوسع الرأسمالي الى ظهور تناقض جديد بين طموحات ايدولوجيا النظام واعلانها بالعالمية من جانب، وواقع الاستقطاب الذي ينتجه هذا التوسع من الجانب الآخر فيفرغ هذا التناقض القيم التي تدعو اليها الرأسمالية الحديثة وهي (الفردية، الديمقراطية، الحرية، المساواة، العلمانية ودولة الحقوق...) من كل مضمون ملموس حقيقي حتى تصبح في عيون الشعوب ضحايا النظام أكاذيب أو على الأقل قيما خاصة بالغرب لهذا التناقض طابع دائم يصاحب تاريخ التوسع الرأسمالي منذ نشأته.

¹ برهان غليون وسمير أمين - مرجع سبق ذكره - ص 96.

وفي هذا الإطار يصبح مبدأ تضخيم (الاختلاف) مفيدا طالما أن الاعتراف بالاختلاف يرافق تنازل ضحايا النظام عن طموحاتهم في مجالات الديمقراطية والحرية والمساواة والفردية واحلال قيم خصوصية مزعومة محلها تؤدي دائما الى أن تكون مضادة للأولى.

فالنزعة الثقافية تخدم أهداف الاستعمار، الخطابان الاستعماري و الثقافي يسيران جنبا الى جنب دون تناقض بينهما من جانب يعلن خطاب الاستعمار بخطرسة كون المعادلة التي اكتشفها الغرب (فالاستعمار يفتخر فعلا بغربيته) من أجل ادارة الاقتصاد من خلال السوق والسياسة من خلال الديمقراطية والمجتمع من خلال الحرية الفردية معادلة نهائية حتى يتعذر تجاوز حدودها .

ويجهل هذا الخطاب التناقضات التي يمكن ملاحظتها في كل مكان أو ينسبها الى قوى "غير عقلانية" لأنها ترفض العقلانية الرأسمالية، وفي هذا السياق تصبح الشعوب غير الغربية أمام خيار ثنائي الأطراف لا احتمال ثالث لهما. فإما أن تقبل " القيم الغربية " كما هي في الرأسمالية القائمة بالفعل أو أن تتغلق في خصوصياتها الثقافية الموروثة من تاريخها السابق (اذ أن انغلاق الشعوب غير الغربية على خصوصياتها الثابتة المزعومة يجعلها غير قادرة على مواجهة تحدي العصر.¹

وإذا تأملنا اليوم ملامح هذا الحاضر الثقافي العربي لتبيننا بعدين أساسيين يسيطران على هذا المفهوم وان اختلف الأمر من مستوى الى آخر بين هذا البلد العربي أو ذاك .

• البعد الأول: هو استمرار التراث العربي الاسلامي القديم متمثلا في الدين واللغة والاحساس بوحدة الهوية التاريخية، وهي وحدة يمتزج فيها الوجدان القطري بالوجدان العربي، بالوجدان الروحي والديني، كما تتنوع فيها

¹ برهان غليون وسمير أمين- مرجع سبق ذكره ص 98.

مستويات التحديث السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مع بقايا العشائرية والقبلية والسلطوية الأبوية، والتخلف شبه الاقطاعي مع سيادة التخلف الانتاجي واستشراء الهشاشة الفكرية التي تتراوح بين الفكر السلفي الجامد والرؤية التجزئية الانتقائية النفعية وروح المتاجرة والربحية السريعة، فضلا عن الفساد المؤسساتي الذي يضاعف من تخلف مؤسسات السلطة نفسها في اطار أنظمة حكم تسلطية تشكلت جميعا من أعلى الى أسفل، تحكم وتتحكم باسم منظومة ايدولوجية تتألف من رؤية دينية طقوسية، ورؤية قومية دعائية تضمر خلاف ما تصرح به، فضلا عن سيادة نمط انتاجي رأسمالي رث يغلب عليه الطابع التجاري و الربعي التابع. و بالتالي انعدام أي خطة للتنمية شاملة سواء داخل البلد العربي الواحد، أو بين البلدان العربية جميعا، وذلك اكتفاءا بعمليات متناثرة مبعثرة من النمو البذخي، أو التي تعبر عن المصالح الذاتية الخالصة هذا مع المفارقة الصارخة، بين أكثر البلدان العربية ثروة، وأقلها حداثة وتحديثا من الناحية الاجتماعية والثقافية من ناحية، وبين أقل البلدان العربية ثقافة وأكثرها حداثة وتحديثا من ناحية أخرى في أغلب الأحيان.

- البعد الثاني: يتمثل في استمرار وتفاقم هيمنة رأس المال المعولم، سواء من حيث الهيمنة المعنوية بم يتضمن ذلك من مفاهيم، وقيم ورؤى وأساليب حياة وتشكيلات تجارية واقتصادية واجتماعية وأنماط اعلامية وتعليمية وفكرية وعلمية وتكنولوجية وفنية وقيمية الى جانب الهيمنة السياسية والاقتصادية، بل الوجود العسكري المكثف -المدفوع الأجر- باسم حماية البلدان العربية بعضها مع بعض في الوقت الذي يتم فيه محاصرة بعض البلدان العربية عن طريق البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، هذه السياسات والتي تضاعف من تبعية البلدان العربية

وتوقف امكانيات نموها المستقل و توحيدها، أو على الأقل تناسقها وتكاملها اقتصاديا وتجاريا.¹

خاتمة

في الأخير نقول ان مقارنة التعريف المحيط بالعولمة نفترض تقديم ملامح أساسية كبرى تكشف عن جوهرها، أولها و أوسعها مشاعية المعلومات عبر وسائل الاتصال الهائلة السرعة في تطورها، وترتبط به المسألة الثانية المتعلقة بإزالة الفواصل المصطنعة بين الدول ما يؤول الى العملية الثالثة التي تطبع الزمان والمكان البشري بتوسع لافقت لهامش التشابه بين الجماعات البشرية والمجتمعات والمؤسسات.

فما زال الباحثين والمتقنين من مختلف الدول في مرحلة فهم ظاهرة العولمة واستكشاف القوانين الخفية التي تحكمها، والتي تسهم في الوقت الراهن في تشكيلها، وهكذا تم التعامل مع مجموعة من المفاهيم الاستراتيجية الغامضة مثل الحداثة وما بعد الحداثة والتحديث والديمقراطية والوجودية والحرية والعديد من الفلسفات والأفكار التي مضت.

فالتغير الذي أحدثته العولمة في مشهد العالم يقضي الى تغيير الثقافة بالذات، فالثقافة لم تعد كما كانت عليه، سواء في أطرها ومضامينها أو من حيث وسائطها ومسالكتها، أو من حيث آليات تشكلها والقوة المنتجة لها، ان الثقافة الفعالة اليوم هي ثقافة الصورة والمعلومة أو الحاسوب، وبنوك المعلومات .

¹ محمود أمين العالم - المشهد الفكري والثقافي العربي: الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل - مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-2003 صص 13-14.

قائمة المراجع:

- أحمد محمد الصالح- الانترنت والمعلومات بين الأغنياء والفقراء- دار الأمين للنشر والتوزيع- 2001.
- 1- أحمد بدر وآخرون- السياسة المعلوماتية واستراتيجية التنمية - دار غريب للنشر والتوزيع -القاهرة-2001.
- 2- محمود أمين العالم - المشهد الفكري والثقافي العربي: الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل -مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-2003
- 3- برهان غليون وسمير أمين- ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ط2- در الفكر - سوريا-2002.
- 4- باسم علي خريسان- العولمة والتحدي الثقافي- دار الفكر العربي- الكويت-2001.
- 5- جبرار ليكلرك - العولمة الثقافية - ترجمة جورج كتورة- دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت-2004.
- 6- عبد الخالق عبد الله- عولمة السياسة والعولمة السياسية -مجلة المستقبل العربي- العدد 278-أفريل 2002.
- 7- علاء عبد الرزاق السالمي- تكنولوجيا المعلومات- دار المناهج للنشر والتوزيع-الأردن- ط2-2000.
- 8- مالك بن نبي - مشكلة الثقافة - ترجمة عبد الصبور شاهين ط4- دار الفكر-القاهرة-1984
- 9- محمد محمد الهادي وآخرون- نحو مستقبل أفضل لتكنولوجيا المعلومات في مصر - المكتبة الأكاديمية-مصر-1995.
- 10- محمد عابد الجابري- قضايا في الفكر المعاصر - ط2- مركز دراسات الوحدة العربية-لبنان-2003.
- 11-محمود أمين العالم وآخرون- الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل-مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت-2003.
- 12- نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة ط2-ديسمبر 2001- الكويت.
- 13- نبيل علي- البرمجيات : البعد الاقتصادي- مجلة العربي- العدد 542- جانفي 2004- الكويت.
- 14- نبيل علي- العرب وعصر المعلومات - عالم المعرفة -الكويت -1994.

- 15- نسيم الخوري- الاعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية - مركز دراسات الوحدة العربية- لبنان-2001.